الصناعات المصرية والخروج من القفص (٢)

«حالة الترسانات البحرية وبناء السفن»

بقلم

د. م نادر رياض

اوردنا فى المقال السباق حالة مصنع الحديد والصلب المملوك بالكامل للدولة باعتباره نقطة التوازن فى صناعة الحديد والصلب، وينحصر مقالنا اليوم عن احدى اولويات البنية الأساسية الصناعية التى تحتاجها الصناعة المصرية لتتمكن من النهوض الا وهى «الترسانات البحرية وبناء السفن».

انه امرٌ يدعو للعجب للمتأمل فى سؤال كيف كنا واين اصبحنا من منظومة بناء وصيانة السفن وايضا كيف تآكل الاسطول التجارى المصرى الذى كان محط فخرنا فى الستينيات والسبعينيات وما آل اليه بعد ذلك من تصفية للشركة العربية للملاحة البحرية وانفراط عقد طموحات الدولة فى مجال النقل البحرى على بواخر مملوكة لها فكل من يتعامل فى النقل البحرى واقتصادياته يعلم ان البواخر مهما عظم شأنها وارتفعت جودتها فإن العمر الافتراضى للباخرة يكون فى المتوسط خمسة عشر عاما يمكن لها ان تزيد من خمس الى سبع سنوات طبقا لمستوى الصيانة الدورية والعمرات الفنية التى تصاحب دورة حياتها العملية.

لذا فإن ملاك البواخر يتحتم عليهم ان يدخلوا تكلفة استهلاك الباخرة ضمن حساباتهم فى كلفة النقل بحيث تستطيع ان تمول شراء الباخرة البديلة قبل انقضاء دورة حياة الباخرة.

هذا باختصار يا سادة الموقف الدرامى الذى نحن فيه الان، وانصافا للحق فقد اشير الى ان هزيمة ١٩٦٧ واقتصار توجه الدولة نحو بناء القوات المسلحة سحب جانبا كبيرا من قدرة الدولة على توفير آلية الاحلال والتجديد، الا ان هذا الامر لا يعفى شركات الملاحة من تهمة التقصير فى بناء السفن البديلة فى التوقيت المناسب اعتمادا على التمويل الذاتى وجانب من القروض.

اما على صعيد الترسانات البحرية وامكانية بناء السفن الذاتية التى تملكها مصر وذلك حتى حمولة ٣٠ الف طن فلا يوجد اى مبرر لتراجعها لتصل الى ما نحن فيه الان من تلاشى هذه الامكانات واقتصارها على ما هو دون ذلك من امكانية فنية غير مستغلة حتى على مستواها المتواضع من حيث احجام السفن الناقلة للبضائع.

واخشى ما اخشاه ان تنقرض الخبرات البشرية والمهارات المصاحبة لها بفعل تقدم العمر وعدم الحرص على توفير أجيال جديدة تتابع تلك الصناعة وتعمل على استمرار المسيرة.

فإذا نظرنا الى الامكانات المتاحة حاليا مع تواضعها الا اننا نجد ان بإمكانها توفير العديد من العائمات الصغيرة والمتوسطة ذات العائد الاقتصادى الجيد الكفيل بإعادة الارتقاء التدريجى للقدرات الفنية للترسانات البحرية القائمة.

فما أحوجنا اليوم الى تنشيط النقل النهرى بتوفير عائمات صغيرة من صنادل وبواخر نيلية لنقل البضائع تحل محل النقل الشراعى بما عليه من بطء فى عمليات النقل وتدنى فى حمولته دون ان ننسى الاحتياج الدائم والمستمر لتعميم تجربة الاتوبيس النهرى الناجحة على طول المدن المطلة على نهر النيل بعد نجاح التجربة فى القاهرة واذا انتقلنا بطموحاتنا على نفس المستوى المتواضع فإن سفن صيد الاسماك سواء المطلوبة لبحيرة السد وكذا على شواطئنا المطلة على البحر الابيض والبحر الاحمر وهى شواطئ تأتى فى المرتبة الثانية بعد شواطئ النرويج وهى الاطول فى اوروبا فان من شأن هذا ان تستفيد مصر من ميزة كبرى حبانا بها الله ما زالت غير مستغلة وهى شواطئ الصيد التى نملكها.

والامر ليس بخاف ان تدخل الدولة بوضع خطط مناسبة للاستفادة من امكانات تلك الترسانات وتوفير تلك العائمات من اساطيل للصيد وللنقل النهرى والبحرى وذلك باتاحة تلك العائمات بنظام الايجار التمويلى من شأنه ان ينعش الجانب الاقتصادى لتلك الانشطة ويعود بالخير الوفير على صناعة بناء السفن التى آن لها ان تنجح وتزدهر وتستعيد امجاد كنا نتغنى بها ونستطيع ان نتخطاها بامكانات العصر الحديث واستخدام المتاح فى الاسواق العالمية من معدات ملاحية ووسائل لاكتشاف التجمعات السمكية تحت الماء وتجنب الحوادث الملاحية.

واذا كان دور الدولة على جانبه الايجابى يبدأ ويستمر عند الجانب التنظيمى والتشريعى لكل مهنة ونشاط، فها هى الدولة وجها لوجه امام مسئوليتها فى توفير النظم واللوائح الحاكمة لازدهار تلك الانشطة وتوفير الالية التمويلية لهذا النشاط وتشجيع الجمعيات التعاونية التى تضم الصيادين واصحاب المهن وتعمل على الالتزام بمواثيق الشرف الحاكمة لهذه المهنة وكذا التوجيه لانشاء معهد تدريب حديث يؤهل العاملين فى هذا المجال على تلك المهن سواء الملاحى منها او الفنى مثل الصيد والتحميل والتعتيق وايضا النقل والتداول الآمن للاسماك بإنشاء مراكز للتبريد والتجميد وما قد يتعدى ذلك من مراكز لتصنيع الاسماك وتسويقها مغلفة جاهزة للتوزيع ناهيك عن اثر ذلك من جذب للايدى العاملة وخلق فرص عمل ذات عائد مرتفع يقف سدا فى مواجهة الفقر وتدنى مستوى دخل الاسرة وتوفير الغذاء البروتينى فى متناول الجميع وهو مطلب قومى لا يدانيه مطلب آخر.

■ كاتب المقال : رئيس اتحاد منظمات الاعمال المصرية الاوروبية.
www.naderriad.com

جريدة الاخبار (صفحة 19) 2013/5/21